تمهيد

غزوة الأحزاب وأهميتها في التاريخ الإسلامي والعالمي

١ ـ غزوة الأحزاب في التاريخ:

يقول الشيخ عرجون: «جاءت غزوة الأحزاب بعد غزوة (أُحُد)، فكانت آخر غزوة هجومية في غزوات أحلاس الشرك وعبيد الوثنية المتحجرة الذين كان يسوقهم الصَّلَف بسياط الغرور الكذوب والتنفج بالقوى المادية، وكانت في هذه الغزوة هزيمة الشرك البليد بحشوده وجحافله، وقد تعرى عن سوءاته القبيحة، وهزيمة الشرك المتستر بالغطرسة اليهودية التي أحرق أكبادها الحسد القاتل والحقد الأسود». [محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٤/ ١٣٥].

تعد غزوة الأحزاب (الخندق) من أشد الغزوات بأسًا على المسلمين، رغم أنه لم يكن فيها قتال يذكر؛ لأن المسلمين قد عانوا فيها من الآلام النفسية والعصبية ما لم يعانوه في غزوة من الغزوات، وقد صور القرآن الكريم تلك المعاناة أبلغ تصوير في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب].

ويقول الإمام الصالحي: «وهي الغزوة التي ابتلى اللهُ فيها عبادَه المؤمنين، وبعث الإيمان في قلوب أوليائه المتقين، وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق، وفضحهم وفزعهم، ثم أنزل الله تبارك وتعالى نصره، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأعز جنده، ورد الكفرة بغيظهم، ووقى المؤمنين شر كيدهم، وحرَّم عليهم شرعًا وقدرًا أن يغزوا المؤمنين بعدها، بل جعلهم المغلوبين، وجعل حزبه هم الغالبين».
[سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٥١٢].

ويقول الشيخ الغزالي: «إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب.

فقتلى الفريقين من المؤمنين والكفار يُعَدُّون على الأصابع، ومع تلك الحقيقة فهي من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام؛ إذ أن مصير هذه الرسالة العظمى كان فيها أشبه بمصير رجل يمشي على حافة قمة سامقة، أو حبل ممدود، فلو اختل توازنه لحظة وفقد السيطرة على موقفه، لهوى من مرتفعه إلى وادٍ سحيق، ممزق الأعضاء، ممزع الأشلاء! ولقد أمسى المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرة المنقطعة وسط طوفان يتهددها بالغرق ليلًا أو نهارًا». [فقه السيرة للغزالي ٣٠٨].

ويقول أ/ دويدار: «لم تكن غزوة الأحزاب هذه معركة ميدان، تتميز فيها البطولة بالكر والفر، والإقدام والإحجام، بل كانت معركة أعصاب، وامتحان عزائم، واختبار قلوب؛ ومن أجل هذا أخفق

فيها المنافقون ونجح المؤمنون، فبمقدار ما أظهر المنافقون ومرضى القلوب من الجزع والشك وضعف النفس، أظهر المؤمنون من الجلد والصبر وقوة الاحتمال ما يدل على قوة إيمانهم، وصدق يقينهم بالله، وثقتهم بأن وراء هذه الشدة فرجًا قريبًا، وأن الله تعالى إنما أراد بهذه الشدة أن يبتليهم ويمتحن إيمانهم، فلما نجحوا في الامتحان هذا النجاح الباهر مد الله إليهم يده الرحيمة، واستنقذهم بنعمته من براثن أعدائهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب]».

[صور من حياة الرسول ﷺ للدويدار ١٩٠-١٩١].

ويقول الشيخ المسند: «موقعة الأحزاب أيام حرجة غربلت المجتمع في المدينة المنورة وحولها وفرزت الذهب من التراب والخبيث من الطيب، وقد أرهبت المسلمين وحسبوا لها حسابها، وكانت نتيجتها في مصلحة المؤمنين، وفيها مناسبات مماثلة للمجتمع الإسلامي اليوم على المستوى الخاص والعام، ولم تقتصر على التنظيم الحربي وسلوك وسائل الحماية والاحتياط واتخاذ أسباب النصر، بل بينت فئات الناس الذين كانوا مع رسول الله ﷺ». [متى ينتصر المسلمون؟ للمسند ٦٦].

ويقول أ/ الشامي: «تمثل هذه الغزوة فترة عصيبة في حياة دولة الإسلام الناشئة، تعاونت فيها عوامل الجوع والبرد وقلة العدد والعدة مع سيل الأعداء الذي جاء يستأصل شأفة الإسلام وجماعة المسلمين، وقد بلغت الحال بالمسلمين كما وصف الله ﷻ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب].

واستطاع المسلمون بفضل الله ورحمته، تجاوز تلك العقبة، ليخرجوا منها مرفوعي الرؤوس، معتزين بإيمانهم، وقد تعلموا الكثير من الدروس، يمليها عليهم رسول الله ﷺ، واقعًا عمليًا، فإذا هو أبلغ من كل قول، وإذا القول حينئذ بعض العمل.

والتأمل في هذه الغزوة، وما جرى فيها من أحداث، يفتح أعيننا على الكثير من الدروس، التي ينبغي أن يعيها المسلمون ؛ لتكون لهم العون، والمرشد الذي يأخذ بأيديهم في أوقات الشدة ـ وما أكثرها في حياتهم ـ وما أحوجهم إلى درايتها». [من معين السيرة للشامي ٣٠٩].

ويقول الشيخ عبيد: «من الحوادث العظام والأمور الهامة التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ غزوة الخندق، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة الأحزاب ؛ لذلك فإن بعض المؤرخين يسميها «غزوة

الأحزاب» وهذه الغزوة حدث فيها بين المؤرخين خلاف في زمن تحديدها والرأي الصحيح الذي يميل إليه الكثير وتؤيده الوقائع أنها وقعت في السنة الخامسة من الهجرة، وأنها كانت في شهر شوال، ولقد اهتم المؤرخون بهذه الغزوة؛ لأن أثرها كبير في تاريخ المسلمين، ولها مقدمات ونتائج فهي:

أولًا: تبرز أمامنا صفحة من تاريخ اليهود وتكشف عن أسلوبهم الدنيء في إثارة الأحقاد وتسخير قيمهم لخدمة مصالحهم وقضاء مآربهم حتى ولو أدى الأمر إلى التجسس والإغراء بالمال.

ثانيًا: تكشف هذه الغزوة عن قوة الإسلام وكيف أن أصحاب العقيدة يصبرون على البلاء والجوع.

ثالثًا: تكشف لنا عن شخصية الرسول ﷺ في قيادته الحكيمة وفي صموده أمام طواغيت الشر وأولياء الشيطان، ثم إن المسلمين لو تعرفوا على غزوة الأحزاب واستفادوا من دروسها ثم صدقت عزيمتهم لأبصروا طريق الحق ووصلوا إلى بر السلام». [غزوة الأحزاب لعبيد ١١].

ويقول أ/ باشميل: «والحق أن عملية الغزو هذه كانت عملية منظمة مركزة مخيفة، فكان كل شيء في الظاهر عند وصول جيوش الأحزاب يوحي بأن أيام الكيان الإسلامي كله أمام هذا الغزو الساحق الرهيب، أصبحت معدودة.

ولم لا؟.. عشرة آلاف مقاتل من فرسان العرب وشجعانهم مجهزة أحسن تجهيز يساندها رأس المال اليهودي المخيف ويخطط لها الفكر الإسرائيلي الخبيث، تُطْبِق من كل ناحية على ألف مقاتل من المسلمين، ينقصهم كل شيء إلا الإيمان بالله.. ولكن الله غالب على أمره.

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾[الأحزاب].

إن هذه الآية وهي تصف أهوال غزوة الأحزاب تعبر ـ في إيجاز أبلغ من التفصيل ـ أصدق تعبير عن مدى خطورة هذه الغزوة، ومدى ما تعرض له المسلمون فيها من عظيم الكرب وشدة القلق والخوف والفزع الذي بلغ بهم حد الاختناق.

لقد تحدث القرآن الكريم عن متاعب المسلمين في كثير من معارك التحرير الكبرى التي خاضها المسلمون بقيادة نبيهم الأعظم ﷺ كبدر وأحد وحنين، ولكنه لم يذكر أن حالة الجيش الإسلامي قد بلغت بهم من الكرب والشدة والرعب إلى الدرجة التي تحدث عنها في غزوة الأحزاب هذه.

فمعركة الأحزاب إذن، وإن لم يكن جرى فيها كبير قتال، هي بشهادة القرآن الكريم أخطر معركة في تاريخ الإسلام، وهي بحق معركة المصير.

إنها فعلًا لم تكن معركة فَصَلَ فيها الرمح والسيف، ولكنها كانت معركة أعصاب، كان السلاح الرئيس الذي واجهه المسلمون فيها هو الخوف والرعب والقلق والإرجاف والانقسام والغدر والخيانة في الساعات الحاسمة.

وفاعلية هذا السلاح تكون في المعارك ـ غالبًا ـ أشد من فاعلية السيف والرمح والسهم.

لقد أجمع المعنيون بأخبار معارك الإسلام على أن المسلمين لم يكونوا على درجة من الخوف والشدة والقلق والجزع والاضطراب، مثلما كانوا عليه في غزوة الأحزاب.

فَكَانَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ ﵂ تَقُولُ: قَدْ شَهِدْتُ مَعَهُ (أي مع رسول الله ﷺ) مَشَاهِدَ فِيهَا قِتَالٌ وَخَوْفٌ ـ الْمُرَيْسِيعَ، وَخَيْبَرَ، وَكُنَّا بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَفِي الفَتْحِ، وَحُنَيْنٍ ـ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ أَتْعَبُ لِرَسُولِ الله ﷺ وَلا أَخْوَفُ عِنْدَنَا مِنْ الخَنْدَقِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا فِي مِثْلِ الحَرَجَةِ (الشجرة الصغيرة الملتف عليها الشجر من كل ناحية)، وَأَنَّ قُرَيْظَةَ لا نَأْمَنُهَا عَلَى الذَّرَارِيِّ، وَالمَدِينَةُ تُحْرَسُ حَتَّى الصَّبَاحِ يُسْمَعُ تَكْبِيرُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا حَتَّى يُصْبِحُوا خَوْفًا، حَتَّى رَدَّهُمْ اللهُ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ. [المغازي للواقدي ٢/ ٤٦٨].

وبينما كان المسلمون في أمر عظيم من الكرب والشدة والامتحان إذا بحلفائهم يهود بني قريظة الواقعة منازلهم خلف خطوط الجيش الإسلامي يعلنون ـ في خسة ونذالة ـ نقض العهد الذي بينهم وبين المسلمين، ويعلنون انضمامهم إلى جيوش الأحزاب الغازية، فيصبحون ـ وهم ما يقرب من ألف مقاتل ـ قوة ثانية مستعدة لضرب مؤخرة الجيش الإسلامي الصغير الذي لا يزيد عدده ـ في أصح التقديرات ـ على ألف مقاتل، والذي قد وقف بأكمله لمواجهة عشرة آلاف مقاتل تهدده أمواجها بالغرق في كل لحظة.

وهكذا تضاعف الكرب وازداد البلاء على المسلمين واستحكمت فصول المحنة، ولم يقف الكرب والبلاء والامتحان عند هذا الحد، بل أبى الله ـ لحكمة يعلمها ـ إلا أن يبلغ الكرب والبلاء والامتحان بجيش المدينة الذروة.

فقد ظهرت ـ في تلك الساعات الرهيبة الحاسمة ـ داخل الجيش الإسلامي نفسه قوة ثالثة أعلنت التمرد وظهر رجالها على حقيقتهم جبناء رعاديد يُظهرون مالا يبطنون، وهم المنافقون الذين أخذوا ـ في تلك اللحظات الحاسمة من ساعات المصير ـ ينسحبون من صفوف الجيش متذرعين بشتى الأعذار تاركين النبي ﷺ والقلة من صفوة أصحابه في مهب العاصفة المدمرة.

وهكذا هزت المحن والبلايا جيش محمد ﷺ، في غربالها بعنف من جديد فتساقط من ثقوب هذا الغربال مَنْ تساقط، من ضعاف الإيمان.

ولم يبق بجانب النبي الأعظم ﷺ في تلك الليالي الرهيبة المرعبة إلا ذلك النوع من الرجال الذين عندما اهتز غربال المحن والبلايا كانوا أكبر من ثقوبه فضاقت عن أن تستوعبهم فيسقطوا؛ لأنهم كانوا بإيمانهم ويقينهم أعظم من تلك المحن والخطوب وأكبر من البلايا والكروب، فقد ثبتت تلك الصفوة المختارة من صحابة محمد ﷺ مع نبيها العظيم ﷺ أمام تلك الخطوب والأهوال التي تنخلع لها القلوب، وقاوموا ذلك الغزو الساحق الرهيب، بصبر وجلد منقطع النظير حتى جاءهم النصر من عند الله فهزم الأحزاب، وجنت قريظة الغادرة ثمار غدرها وخيانتها فدفعت ثمن هذا الغدر والخيانة غاليًا، رؤوس ثمانمائة من رجالها قُطعت بأيدي المسلمين بعد محاكمة عادلة نزيهة.

إن النظر بتفهم ووعي وتبصر في مواقف أصحاب محمد ﷺ، من حوادث معركة الأحزاب الرهيبة مع التطبيق يمكن ـ بل يجب ـ أن يكون قاعدة لكل العقائد بين الذين يريدون ـ صادقين لا متاجرين ـ أن يتحملوا مسؤولية الدعوة إلى الله والنضال في سبيل إعلاء كلمة الله.

فبالنظر في تفاصيل حوادث هذه المعركة المثيرة سيرى شبابُ الإسلام العقائدي وكهولُه الصادقون، كيف يكون الثبات على الحق وكيف يكون النضال والتضحية والفداء، في سبيل حماية ورفع راية الدعوة الإسلامية التي كثر الضجيج ـ في زماننا هذا ـ باسمها، ولكنه ضجيج كضجيج الرحى الذي يصم الآذان دون أن يرى الناس له طحنًا». [غزوة الأحزاب لباشميل ١١-١٥].

٢ ـ غزوة الأحزاب واستعادة الهيبة الإسلامية:

يقول د/ أبو خليل: «استطاع المسلمون بعد أُحُد جمع صَفِّهم بعد درس قاس، كان سببه المخالفة لأمر رسول الله ﷺ، لقد لملموا الجراح، وأعادوا هيبتهم في نفوس القبائل المجاورة بعد حمراء الأسد.

وفي غزوة الخندق، غزوة الأحزاب سنجد الالتزام التام بأوامر رسول الله ﷺ، مع الطاعة التامة، ولا يعني ذلك عدم تبادل الرأي وتداول الأمور المستجدَّة، ولكن إذا تقرر أمر التزم المسلمون، لقد كان ﷺ يجمع أطراف الأمور كلها بيده.

وهذا لا يعني أنَّه لم يكن للمنافقين دورٌ سيءٌ في غزوة الخندق، فسنرى عدم التزامهم أثناء الحفر، مع دعاياتهم المثبِّطة للهمم والعزائم، فدور المنافقين ما زال واضحًا في مجتمع المدينة، يشاركهم اليهود بدور كاد يغيِّر سير الأحداث، عندما نكثوا بعهودهم، وقلبوا ظهر المجن للمسلمين، فكان لابدَّ بعد ذلك من قَصاص عادل، يتناسب مع ضخامة الجريمة، فكانت غزوة بني قريظة بعد الخندق مباشرة.

وفي حفر الخندق، عمل رسول الله ﷺ بنفسه، كأي فرد من أفراد المجتمع، حمل التراب، وكلما ظهرت صخرة واستعصت على الرجال، جاء ﷺ ليمسك المعول بيده الشريفة، مذلِّلًا عقبات سير العمل، ولإنجازه في الوقت المناسب قبل مجيء قريش وغطفان ومن معهما.

لقد تمَّ حفر الخندق لا خوفًا من لقاء قريش ومن معها، ولكن دفعًا للجموع بلا دماء، وتحقيقًا للنصر بأقل خسائر ممكنة، ودليل شجاعة المسلمين وعدم خوفهم من الأحزاب، صدِّهم المشركين، وقتل فارسهم الأول عمرو بن عبد وُدٍّ العامري، بيد عليٍّ ﷺ، ودورياتهم المنتظمة التي ضمنت حراسة المدينة من ناحية، والتي سدت كل الثغرات والمنافذ في وجه فرسان الأحزاب من ناحية أخرى.

ويرفع رسول الله ﷺ الروح المعنوية عند المسلمين إلى أعلى القمم، عندما طوى ﷻ له الزمن، فرأى المستقبل، فقال ﷺ في هذه الساعات الحرجة: «**أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ اليَمَنِ**»، «**أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ بِنَصْرِ اللهِ وَعَوْنِهِ**»، «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالبَيْتِ العَتِيقِ وَآخُذَ المِفْتَاحَ..**».

وهكذا.. فأعمال قريش ومن معها، صورة لن تمنع مسيرة رسول الله ﷺ ومن معه، إنها كصورة الأشجار على وجه الأنهار، تظهر فيها ولا تمنع جريانها وسيرها وخيرها، ووصولها إلى مصيرها الذي أراده الله ﷻ.

الخندق: معركة فاصلة ثانية في تاريخ الإسلام، بعد غزوة بدر الكبرى.

لقد أراد المشركون واليهود استئصال المسلمين، فلو قُدِّر لهم النجاح فيما أرادوا وجاؤوا من أجله، لتغيَّر مجرى التاريخ كله، لا أقول مجرى التاريخ العربي فحسب، بل مجرى التاريخ العالمي، لارتباط التاريخ العربي الإسلامي بأحداث الساحة العالمية بعدئذ، ولا سيما مع الدولتين الأعظم: الفرس والروم.

قال حكيم: «**بالتواضع تكثر المَحَبة**»: وقد كسب رسول الله ﷺ محبَّة المسلمين في تواضعه، عندما اشترك بنفسه في حفر الخندق محقِّقًا منتهى (الديمقراطية).

«**وبالرفق تستخدم القلوب**»: وحقَّق رسول الله ﷺ ذلك عندما هوَّن الأمر على أبي لبابة رفاعة بن المنذر الأنصاري ﷺ بعد إفشائه سر رسول الله ﷺ عند يهود بني قريظة، وعندما أُصيب سعد بن معاذ ﷺ فجعله في خيمة في مسجده، وجعل أوَّل ممرضة في الإسلام رُفَيْدة الأنصارية، التي أوقفت نفسها لله، في خدمة الجرحى المسلمين.

«**وبالحكمة تكثر الأنصار**»: وفعلًا بعد الخندق، بعناية الله وتوفيقه، وبحكمة رسول الله ﷺ التي اتبعها في توجيه الأحداث تجاه المنافقين في الداخل، وتحمُّل ما يقولون جاعلًا الزمن عامل دحض لافتراءاتهم، ومبددًا أكيدًا لإرجافاتهم، وجذبت الحكمة التي حققت الانتصارات أفرادًا من القبائل كل يوم، وكان واحدهم يعود إلى قومه ناشرًا للدين الجديد بيقين وعزيمة صادقة.

«**وبالوفاء يدوم الإخاء**»: ودام الإخاء الحق بين المهاجرين والأنصار، لوفاء رسول الله ﷺ لهما في كل أعماله، فكانت هذه الأخوة ملاطًا بين لبنات أضحت صفًّا وبنيانًا متينًا، فانتقلت المبادأة إلى يد المسلمين

بفضل تماسكهم، فانتقلوا بعد الخندق من انتصار إلى انتصار، حتى شمل الإسلام جزيرة العرب، لينتقل بعدها إلى العالم، ولو تُرك الأمر إلى:

تكبُّر أبي جهل، بدل تواضع رسول الله ﷺ.

وإلى تجبُّر أبي لهب، بدل رفق المؤمنين.

وإلى رعونة أبي سفيان، بدل حِكمة الإسلام.

وإلى غدر اليهود، بدل وفاء المسلمين.

لما كانت هناك أمجاد وقادسية ويرموك وذات الصواري وأندلس...

ولو تحقَّق لأبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان ما أرادوا، لما كانت هناك حضارة عربية إسلامية زاهرة خالدة». [غزوة الخندق لأبي خليل ٧-١١].

٣ ـ تشابه واقعنا مع واقع الخندق:

يقول د/ الجبوري: «عندما نتحدث عن تشابه حال المسلمين اليوم وما يمرون به من صراعات مع أعداء الإسلام، هو ليس تشابه تناظري بين الفريقين في هذا الزمن وذلك الزمن، فليس الأشخاص في عهد الصحابة يوجد من يماثلهم في زماننا، ولا الأعداء هم نفس الأعداء، فالموازين قد تغيرت ولا توجد مقارنة في هذا الجانب.

وإنما العامل المشترك الوحيد بين زمن النبي ﷺ وصحابته الكرام، والأحزاب، وبين ما نعيشه اليوم هو الصراع الأزلي بين الحق والباطل، وهو عداء الشرك والضلال للإسلام، فهذا العداء الأزلي لا ينتهي إلى قيام الساعة.

ونستطيع أن نضيف حلقة مشتركة بين ذلك الزمان وهذا الزمن، وهي جزء من الأولى المتمثلة بالعداء الأزلي بين الشرك والإسلام، ألا وهي (اليهود).

وها هي تجتمع قوى الظلام من جديد، تغيرت الوجوه ولكن النوايا والغايات ثابتة لا تتغير.

إن اليهود الذين ألَّبوا وحشدوا الأحزاب في ذلك الزمان على المسلمين، هم أنفسهم اليوم يغزلون المؤامرات على المسلمين ولكن بوجه آخر وسلاح مختلف وغايات مسمومة تعبر عن حقدهم الأزلي على الإسلام.

تغير أسلوب الحروب كثيرًا، فبعد أن كان في ميادين القتال وساحات الحرب، ومقتصرًا على الرجال، تحول إلى حرب فكرية عقائدية هدفها انحراف المجتمعات بأكملها بعد تسليط التكنولوجيا الحديثة على كل بيت هدفها الانحراف.

ومن أجل القضاء على روح هذا الدين الحنيف قامت قوى الشر والظلام ـ وعلى رأسهم اليهود ـ على تبني الأفكار المتطرفة التي يظن البعض أنها تمثل الإسلام، والحقيقة عكس ذلك تمامًا، الهدف منها أن يظهر الإسلام بطابع القتل والإجرام؛ ليبيحوا لأنفسهم قتل المسلمين تحت غطاء مكافحة الإرهاب.

وَفَّروا كل الوسائل التي تبعد المسلم عن الدين أو تقربه من الله، بالمجان أو شبه المجان، المتمثلة بأجهزة الاستقبال والإنترنت، وكل وسائل اللهو والانحراف.

في حين في المقابل نجد كل برامج تطوير الأسلحة وغيرها محظورة، وخطوط حمراء لا يُسمح للدولة الإسلامية القريبة من إسرائيل، امتلاك مثل هذه الأسلحة المتطورة بحجة أنها تهدد أمن إسرائيل، وقد أُسقطت حكومات وأُبيدت شعوب تحت هذه الذريعة.

وختامًا نقول: يا مسلمون عودوا إلى الله، انصروا الله ينصركم، (فيا شباب! قد كثرت ثلمات الأمة فمن الحارس؟ وقد كثرت ثغرات المسلمين فمن الفارس؟ فامضوا إلى كتيبة التوحيد منيبين، في مجتمع الإيمان والإخاء منضبطين، ولا تُفزعنكم رسائل العدو ونفثه ونفخه، أنتم أقوياء بالله ولو حاصركم أهل الأرض!) [السيرة النبوية لياقوت ٤٣٢]». [غزوتا الأحزاب وبني قريظة للجبوري ١٦٤-١٦٥].